تحقيق

المكتبة الشرقيَّة في بيروت
ذاكرة حيَّة لتاريخ غنيّ

ميشلين مبارك

وأنـت تجـول في الجامعة اليسوعية في بيروت، يطالعك تاريخ عريق من الكتب والوثائق، من الصور والمخطوطات، تاريخ ينطق بكل اللغات ويبوح بالحضارات الشرقية، فتعرف أنكَ في المكتبة الشرقية التابعة للجامعة.

زيـارة «الأمـن» كانت لمناسبة إعادة افتتاح المكتبة من جديد بعـد ترميمها من جراء الأضرار الكبيرة التي لحقت بها بعد انفجـار المرفـأ في ٤ آب الماضي. وقـد استقبلتنا مديرتها السيـدة ميشلين بيطار بهدوئها ولطافتهـا، وكان معها حوار تحدثت في مستهله عن تاريخ هذه المكتبة العريقة، فقالت:

«بدأ الآباء اليسـوعيون وتلاميذهم بتجميـع الكتب عندما كانوا في مدرسـة غزيـر الإكليريكيَّـة قبل العـام ١٨٧٥ تاريخ إنشـاء جامعة القديس يوسف في بيروت، واستمر منذ ذلك الحين. بداية، تركزت الكتـب علـى اللاهـوت والأدب العربي، ومع الوقت كبـرت وتنوعت الكتـب فيهـا، فانتقلت من غزير إلى مبنى مخصّـص لها في بيروت (الأشـرفية) في العام ١٩٣٧، وقد أطلق الأب اليسـوعي المستشرق لويس شـيخو عليها إسـم «المكتبة الشـرقية»، حتى أصبحت تضمُّ اليـوم كتبًـا حول التاريـخ، الجغرافيا، الدراسـات الإسـلامية، علم الآثـار، الفلسـفة، الألسـنية... وبأكثر من ثماني لغات». وسـاهمت الأسـفار التي قام بها الأب شيخو إلى جميع أصقاع الأرض والكتب

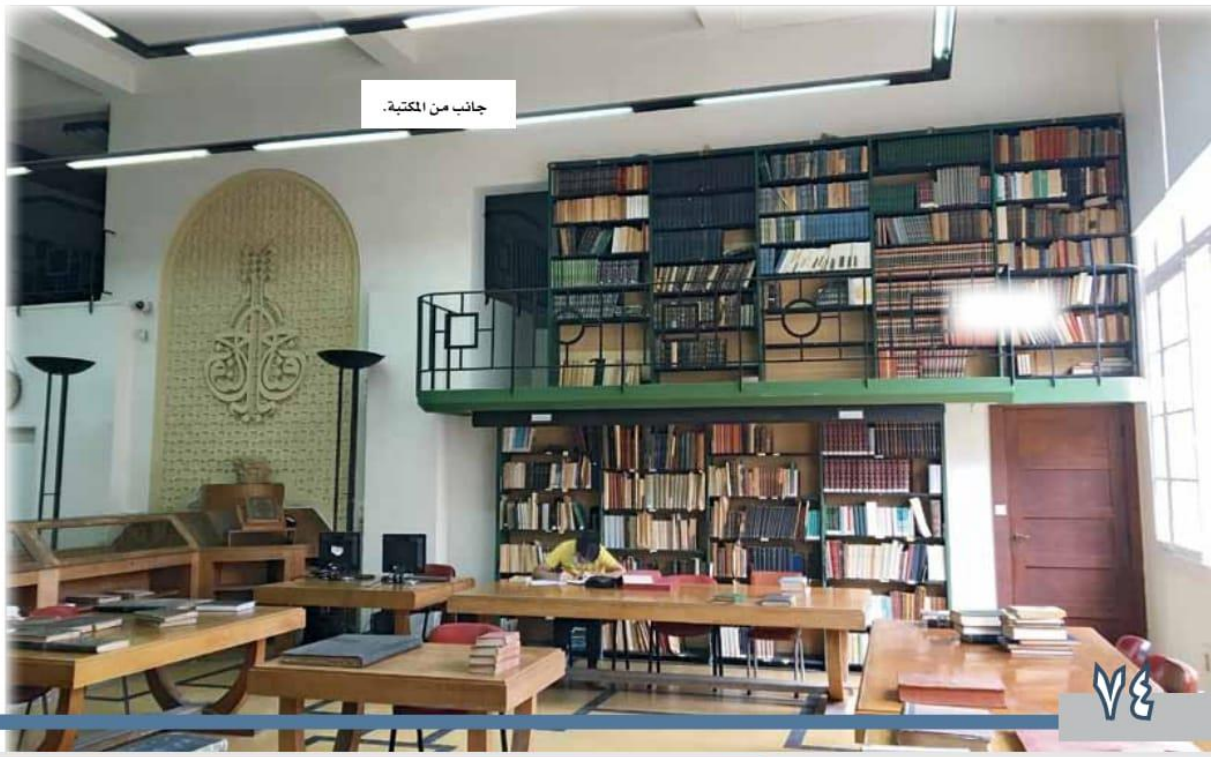

جانب من المكتبة.

والمخطوطات التي جلبها معه في إغنائها.

وعمّا تختزنه المكتبة اليوم من قيمة ثقافية، قالت السيدة بيطار:

«تحتوي المكتبة على أكثر من ٢٢٥ ألف كتاب إضافة إلى مجموعة كبيرة من المخطوطات لا سيَّما في اللغتين العربية والسريانية، ومنها ما كُتب باللغات الفارسية، والقبطية والأرمنية، والتركية واليونانية، كلّها تُقدر بحوالي ٣٧٠٠ مخطوطة شرقيّة، إضافة إلى الخرائط الجغرافية، والآلاف من الصور الفوتوغرافية».

يبقى القول أنَّ المكتبة الشرقيّة التي أدرجتها منظمة الأونيسكو ضمن لائحة الأبنية التراثيّة الاثريّة، هي الذاكرة الحيّة لتاريخنا المشرقي، وبالتالي مسؤولية كل قارئ أو باحث أو محبّ للمعرفة أن يعزز انتشارها من أجل أن تستمر في لعب دورها المهم هذا. كيف؟

هذا السؤال تجيب عنه السيدة بيطار بالقول: «أبواب المكتبة مفتوحة للجميع من دون استثناء. هناك اشتراك رمزي لكلّ باحث أو طالب أو من يريد الإطّلاع على كتاب محدد يعود إلى القرن الخامس عشر على سبيل المثال. هذه الإشتراكات وإن كانت زهيدة تساهم في تمويل مصاريف المكتبة».

وتضيف: «نستقبل أشخاصًا يأتون خصيصًا من العراق أو البرازيل أو فرنسا لرؤية مخطوطة معينة، أو الاطلاع على خريطة قديمة تفيدهم في بحثهم، وهذا يتم عبر تقديم طلب لأخذ الإذن بهدف استعمال صورة المخطوط مثلا».

ونتساءل عن ماهيّة دور الكتاب الورقي في ظلّ العصر الإلكتروني، فتجيب مديرة المكتبة بأنّ أكثر من نصف الكتب الموجودة حوّلناها إلى طبعة إلكترونية، لمعرفة المزيد يمكن الإطلاع على عنواننا الإلكتروني www.bo.usj.edu.lb إنما لا غنى عن الورقي أبدًا.

قسم المخطوطات

تستمر الجولة في هذا الإرث الثقافي من القاعة العامة، إلى المسرح، فقسم المخطوطات الذي حدثنا المسؤول عنه كرم الحويك قائلًا إنّ أقدم مخطوط يعود إلى القرن التاسع ميلادي وهو عبارة عن نسخة قديمة من الإنجيل المقدس، إضافة إلى أول ترجمة للقرآن الكريم باللغة الفرنسية تعود إلى العام ١٦٤٧ وهي من النسخ النادرة.

نستفسر منه كيف تتم المحافظة اليوم على هذا الإرث الثمين، فيقول:

«بعد العام ٢٠٠٠ عندما انتقلت إدارة المكتبة إلى جامعة القديس يوسف، تمّ استحداث نظام جديد وتطويره لاحقًا على مراحل بهدف المحافظة على المخطوطات من الرطوبة، من دون أن ننسى العمل الذي كان وما زال جاريًا على تعليبها وفهرستها إلكترونيًا».

يضيف: «لدينا مجموعة كبيرة من الخرائط المهمة والنادرة في العالم، إضافة إلى مجموعة من الصحف العربية والأعداد الأولى لأبرزها مثل «البشير»، «لسان الحال»، «النهار»...».

مديرة المكتبة السيدة بيطار.

قسم الصور الفوتوغرافية

ننتقل إلى قسم الصور الفوتوغرافية مع المسؤول عنه ليفون نورديغيان الذي أخبرنا أنّ هناك أكثر من ٢٥٠ ألف صورة عن البلدان الشرقية القديمة لا سيما لبنان، سوريا وفلسطين، فضلًا عن ١٠٠ ألف صورة مقدمة من المصور الشهير فاروجيان، وموضوعة في براد خاص.

أما في البهو الداخلي لهذه الذاكرة تستوقفنا صورة قديمة لنهر الكلب، ويخبرنا نورديغيان أنّها تعود إلى العام ١٩٠٢ تقريبًا، وفيها يظهر بوضوح خط تراموای بيروت القديم.

نسخة من أول عدد لجريدة «لسان الحال» عام ١٨٧٧.